الفصل الثالث

دور المنطق في الفلسفة العلمية عند برتراند رسل

نظرية الأوصاف نموذجاً

بقلم الأستاذ جمال حمود

مقدمة:

يقوم التفلسف العلمي عند رسل على غاية واضحة ومحددة حصرها في كتابه "الفلسفة بنظرة علمية" قائلا:<<فالغاية التي يجب على الفلسفة أن تضعها نصب عينيها وأن تحاول بلوغها عن وعي وعن عمد ، هي أن تفهم العالم ما أمكنها إلى الفهم من سبيل >> (1).

وكلمة "الفهم" هنا تنطوي على أهمية بالغة إذ ينبني عليها مفهوم الفلسفة ووظيفتها و منهجها عند رسل على حد سواء؛ فالفهم الذي يقصده هنا وكذا في مؤلفاته الكثيرة يحمل معنى خاصا فهو ليس ذلك الفهم الذي نجده عند العالم التجريبي الذي يريد فهم ظاهرة طبيعية مثلا ،كما وأنه ليس ذلك الفهم القائم على التأمل الذي نجده عند بعض الفلاسفة المثاليين ،لكن ما يقصده رسل من الفهم هو فهم الخطاب Discourse الذي يقوله العلماء و الفلاسفة إزاء الإنسان والعالم .

هذا الفهم الخاص لمصطلح "الفهم " واستنادا إلى مؤلفات رسل العديدة يقوم على عدة عوامل نجملها فيما يلي :

1ـ حرص رسل على ضرورة تميز الفلسفة عن العلم ، ولا يكون لها ذلك برأيه إلا إذا اتخذت موضوعا خاصا بها يختلف عن موضوع العلوم الطبيعية .

2ـ قيام الفلسفة العلمية عنده على خلفية فكرية ذات طابع منطقي ورياضي وهنا يقول رسل <<...فنوع الفلسفة التي أود الدفاع عنها والتي أسميها ذرية منطقية هي أحد الموضوعات التي فرضت نفسها علي وأنا بصدد التفكير في فلسفة الرياضيات >>(2).

3ـ قيام الفلسفة العلمية عنده على ما يسمى التوازي اللغوي الأنطولوجي ،حيث يعتقد أن فهم اللغة يمكننا من فهم الواقع الذي تتحدث عنه ، حيث يقول : << ...أما من جهتي فإنني أعتقد بيقين أننا نستطيع الوصول جزئيا إلى معرفة بعض الحقائق عن بنية العالم

عن طريق دراسة النحو >>(3).

هذه العوامل الثلاثة جعلت رسل يرى أن أ فضل منهج للتفلسف العلمي هو منهج "التحليل المنطقي" حيث يؤدي المنطق الحديث بواسطة مجموعة من النظريات دورا حاسما في منهج رسل للدرجة التي جعلته يعتبر المنطق "جوهر الفلسفة" (4) وأن التحليل المنطقي كفيل- برأيه- بأن يبين لنا ما هي المشكلات الفلسفية الحقيقية ويميزها عن تلك التي ليست بمشكلات على الإطلاق إذ أن التحليل المنطقي- حسب قول رسل- كفيل بأن يبين لنا إما أن تكون المشكلة الفلسفية مشكلة حقيقية وإما أن لا تكون مشكلة فلسفية على الإطلاق(5).

وإذا نحن نظرنا إلى هذا المنطق الذي يتحدث عنه رسل فإننا نجده يقوم على نظريتين أساسيتين طورهما رسل في نفس الفترة الزمنية تقريبا هما نظرية الأنماط المنطقية Theory of Types ونظرية الأوصاف Theory of Descriptions . وقد اخترنا نظرية الأوصاف للدراسة لما لها من أهمية بالغة ومكانة عظيمة ليس في فلسفة رسل العلمية فحسب ،ولكن في الفلسفة التحليلية على وجه العموم.

يعالج رسل في هذه النظرية مجموعة من المسائل أهمها: مفهوم الجملة الإشارية أو العبارة الوصفية وأنواعها من حيث الدلالة والصدق.

أولا- مفهوم العبارة الوصفية :يحدثنا رسل في مقاله في الإشارة عما يقصده بجملة إشارية "Denoting Phrase" بقوله: إنها جملة مثل أي واحدة مما يلي: ((رجل ما a man بعض الرجال Some man، أي رجل any man، جميع الرجال every man، كل الناس all men، ملك إنجلترا الحالي، ملك فرنسا الحالي...إلخ)).(6)ويحلل معاني هذه الجمل من خلال تحليله لمعاني الروابط القضوية التي ترد فيها، حيث يعتبر تلك الجمل بمثابة دوال قضايا حيث يقول: ((والعبارات التي تدخل فيها هذه الألفاظ: "جميع"، "كل واحد"، "أحد"، "ال"، "بعض" تحتاج إلى دوال قضايا في تفسيرها...)).(7) ويرى في مقاله: في الإشارة، أن تلك الروابط المختلفة يمكن أن تشتق من فكرة أولية أو "لامعرفة" واحدة هي "تا(س) صادقة دائما".(8) ونقول عن الدالة "تا" أنها صادقة دائما أو في جميع الأحوال عندما تكون جميع قيمها صادقة.(9) بينما نجده في مقدمة للفلسفة الرياضية يتخذ فكرتين لامعرفتين هما: "كل" و"بعض" وبواسطتهما يعرّف بقية الروابط الأخرى،

حيث يقول: ((والطريقة التي ترد فيها دوال القضايا يمكن أن تفسر بواسطة لفظتين من الألفاظ السابقة هما "جميع الحالات" والثاني أن نحكم أنها صادقة على الأقل في حالة واحدة أو في بعض الحالات)).(10) كما يرى أن كل الجمل الإشارية تنتظم في مجموعتين: الأولى هي القضايا التي تتحدث عن "كل" "All"، والثانية تتحدث عن "بعض" "Some". هذان النوعان من الجمل يتنافيان فيما بينهما، فعندما نقول على سبيل المثال: "كل الناس فانون" هذه نفي لـ"بعض الناس ليسوا فانين".(11)

وكل القضايا العامة -عند رسل- تنفي وجود شيء ما أو آخر؛ فإذا قلنا "كل الناس فانون" هذه تنفي وجود رجل غير فان.(12) كما يؤكد على فكرة التنافي بين اللامعرفتين "كل" و"بعض" قائلا: ((القول بأن الدالة "تا(س)" صادقة دائما هو سلب قولنا أن "لا-تا(س)" صادقة أحيانا، والقول بأن "تا(س)" صادقة أحيانا هو سلب قولنا أن "لا-تا(س)" صادقة دائما، وهكذا العبارة "جميع الناس فانون" هي سلب للعبارة التي تقول أن الدالة "(س) إنسان خالد" صادقة أحيانا)).(13)

وسواء أخذنا "صادق دائما" كلامعرفة واحدة أو أخذنا "صادق دائما" و"صادق أحيانا" كلامعرفتين فإن رسل بردّه الجمل الإشارية إلى دوال قضايا يكون قد عدل عن الرأي الذي دافع عنه في نظريته في الدلالة (1903) وهو أن هذه الجمل تشير إلى أشياء واقعية، وبدلا من ذلك أصبح يردّها إلى الدالة التي لا تقرر بطبيعتها وجودا. وهنا نجد أن التحليل الفلسفي لـ(1903) قد ترك مكانه لتحليل جديد يستخدم أدوات المنطق الحديث، وأهم هذه الأدوات هي "الدالة" و"المتغير"، حيث يفتتح رسل مقاله في الإشارة بقوله: ((نظريتي باختصار هي هذه: إنني آخذ فكرة المتغير كفكرة أساسية...)).(14)

والدالة ترتبط ارتباطا عضويا بفكرة المتغير، إذ لا يمكن أن تقوم الدالة بدون المتغير .والمتغير كما يعرّفه رسل هو مكون مجهول أو غير محدد في الدالة القضوية(15) والدالة القضوية -عنده- هي عبارة تشتمل على مكون غير محدد أو أكثر.(16)

وهكذا يبيّن التحليل المنطقي أن الجمل الإشارية هي دوال قضايا وليست قضايا، وهذا لأن القضايا -بنظر رسل- صورة من الألفاظ تعبّر إما عما هو صادق أو عما هو كاذب(17)، ومنه ما دامت الجمل الإشارية دوال قضايا، وما دامت الدوال تحتوي على مكونات غير محددة، فإن الجمل الإشارية لا تصبح قضايا -قابلة لأن توصف بالصدق

أو الكذب- إلا بعد تحديد قيم المكونات فيها.(18) كما أن الدوال تختلف عن القضايا - من جهة أخرى-حيث تتصف الدوال بكونها إما صادقة أحيانا أو صادقة في جميع الأحوال، بينما القضايا مثل "سقراط إنسان" أو "مات نابليون في جزيرة القديسة هيلين" لا معنى لقولنا أنهما صادقتان أحيانا أو في جميع الأحوال، لأن هاتين الصفتين لا تنطبقان -برأي رسل- إلا على دوال القضايا.(19)

لقد كان هذا، تحليل رسل الجديد للجمل الإشارية، وهو يقوم على تحليل تلك الجمل بربطها بفكرتي الدالة والمتغير، هذا الربط يبيّن الطبيعة المنطقية للصدق في تلك الجمل؛ حيث لم يعد الصدق والكذب خاصيتان جوهريتان لتلك الجمل -كما كان يعتقد رسل في (1903)- وإنما أصبح يتوقف على القيم التي تأخذها المتغيرات في تلك الجمل بعد ردّها إلى لغة الدوال.هذا عن الطبيعة المنطقية للصدق، فماذا عن طبيعة الدلالة في الجمل الإشارية؟ سؤال سنجيب عنه من خلال عرض أنواع الجمل الإشارية في نظرية الأوصاف.

ثانيا: أنواع العبارة الوصفية: ماهي أنواع العبارة الوصفية؟ وماهي أوجه الاختلاف فيما بينها؟. يفرّق رسل في العبارات الوصفية بين ثلاثة أنواع من العبارات وهذا بالاعتماد على قيمتها الإشارية، أي من حيث قدرتها على الإشارة ومن حيث الطريقة أو الكيفية التي تشير بها من ناحية الغموض أو التحديد. هذه الأنواع الثلاثة هي:

1-عبارات وصفية أو جمل إشارية لكنها لا تشير إلى أي شيء فعلي في الواقع وأمثلتها عند رسل: "ملك فرنسا الحالي"، "المربع المستدير"(20) وغيرها ومثل هذا النوع من الجمل لا يصدق على أي شيء في الواقع و منه فإن هذه الجمل لا ما صدق لها"(21) وهي تقابل الجمل التي تشير إلى أفكار عند "فريج".

2-جمل تشير بشكل غامض أو غير محدد، أمثلتها "رجل ما" "a man" لا تشير إلى رجال كثيرين ولكنها تشير إلى رجل غير محدد(22). هذا النوع من الجمل الإشارية هي ما سيسميه رسل -لاحقا- بـ"الأوصاف الغامضة" 'Ambiguous Descriptions"(23) . وترد هذه الأوصاف في اللغة على صورة "كذا وكذا" 'So and S(24).

3-جمل تشير إلى شيء واحد محدد أمثلتها "ملك إنجلترا الحالي"، "مؤلف ويفرلي"...إلخ.(25) وهي ما يسميها رسل بـ"الأوصاف المحددة" "Definite

"Descriptions"[26] وترد في اللغة على صورة "الكذا وكذا" "The So and So" (في المفرد).[27] ونتناول هذه الأنواع الثلاثة من الجمل الإشارية أو العبارات الوصفية بالتفصيل فيما يلي:

1-الوصف الذي لا يشير إلى شيء :سبق لنا أن رأينا أن الجمل الإشارية التي لا تشير إلى أشياء فعلية كانت مصدرا لمشكلات كثيرة في نظرية رسل في (1903)، أين ربط معاني العبارات بإشاراتها في الواقع، مما جعله يعتقد أنه ما دامت هذه العبارات لها معاني فلا بد أن تشير إلى كائنات واقعية، وهو ما رآه "ماينونج" و"فريج". لذا نجد رسل في مقاله في الإشارة يرفض نظرية "ماينونج" لأنها تخل بقانون التناقض، كما رفض نظرية "فريج" لأنها تقوم -في نظره-على تعريف خاطئ للفئة الفارغة. هذا التعريف "الخاطئ" كان مشتركا بين "فريج" و" ماكول" " Mc Call" الذي نشر مقالا في مجلة "العقل" "Mind" عرّف فيه الفئة الفارغة بأنها الفئة التي تحتوي على كل الأفراد غير الحقيقية "All Unreal Individuals" وهذا يؤدي -برأي رسل- إلى أن جملا مثل "ملك فرنسا الحالي" رغم أنها لا تشير إلى فرد حقيقي إلا أنها تشير إلى فرد ما ولكنه غير حقيقي[28] وعليه يرفض تعريف "ماكول" للفئة الفارغة ويرى أنه لا وجود لأفراد غير حقيقية، حيث يقول: ((في نظريتنا في الإشارة، نحن قادرون على القول أنه لاتوجد أفراد غير حقيقية؛ وهكذا فإن الفئة الفارغة هي الفئة التي لا تحتوي على أي عضو، وليست الفئة التي تحتوي على الكائنات غير الحقيقية كأعضاء لها)).[29]

وتعريف رسل للفئة الفارغة هنا هو تعريف -في ذات الوقت- للوجود، فما معنى الوجود في نظرية الأوصاف؟ يربط رسل الوجود بالدالة القضوية، حيث يرى أنه عن الدوال فقط يمكننا تقرير أو نفي الوجود وأن الوجود أساسا هو خاصية للدوال القضوية حيث يكون المعنى الحقيقي للوجود هو أن الدالة القضوية تصدق في حالة واحدة، حيث يقول: ((عندما تأخذ دالة قضية وتقرر عنها أنها ممكنة، أي أنها صادقة أحيانا، فإن هذا يعطيك المعنى الحقيقي للوجود...)) [30] .

يكشف هذا النص عن الطابع المنطقي لمفهوم الوجود عند رسل، فكيف يتعامل في ضوء هذا المفهوم مع الجمل الإشارية أو العبارات الوصفية التي لا تشير إلى شيء؟ وكيف يعامل التحليل المنطقي الذي دُشن في في الإشارة جملة ثل: "ملك فرنسا الحالي أصلع"؟،

هذه الجملة تتحل -عند رسل- إلى الدالتين: "س ملك حالي لفرنسا" و"س أصلع" صادقتين أحيانا، أي صادقتين من أجل قيمة واحدة على الأقل للمتغير "س". وما دمنا لا نجد في الوقت الحالي في فرنسا شخصا يحل محل المتغير "س"، فإن الدالتين تكونان كاذبتين دومًا. ومنه نجد أن المعنى الحقيقي لعدم الوجود هو "كاذب دوما" والمعنى الحقيقي للوجود هو "صادق أحيانا".

وهكذا يبيّن لنا التحليل المنطقي كيفية الحديث بكلام له معنى عن الأشياء التي لا توجد، كما يبيّن أيضا أن الجمل التي لا تشير إلى شيء تخضع لقانوني التناقض والثالث المرفوع على خلاف ما ذهب إليه "ماينونج" و"فريج"[31] فالجملة "المربع المستدير موجود" تتحل إلى الدالتين: "س مربع" و"س دائري" صادقتان أحيانا، و ما دمنا لا نجد - في الواقع- شكلا هندسيا يكون مربعا ودائريا في نفس الوقت، فإن الدالتين تكونان كاذبتين دوما، ومنه يتبيّن -مرة أخرى- أن هذه الجمل التي لا تشير أو لا مراجع لها في الواقع، تخضع لقانوني التناقض والثالث المرفوع. ومنه فإن المنطق الحديث يمدّنا بأدوات منهجية تسمح لنا بما يأتي :

أ- تقرير قضايا ذات معنى رغم غياب المرجع أو الإشارة، حيث مكن رسل من التمييز بين المعنى في الرموز اللغوية وبين إشارتها إلى أشياء في الواقع، وهو تمييز وجدناه من قبل عند "فريج". وعند هذه النقطة نلحظ تراجعا له أهميته الفلسفية واللغوية من قبل رسل عما قاله في نظريته المتقدمة فيَ الدلالة (1903)، والتي كانت تقوم على أن كل الكلمات لها معاني بالنظر إلى أنها تشير إلى أشياء غير ذاتها.[32]

ب- لم يعد الصدق والكذب خاصيتين جوهريتين للقضايا، فقد بيّن المنطق الحديث بواسطة فكرتي الدالة والمتغير، أن ليس في القضايا شيء يجعلها صادقة أو كاذبة ولكن صدقها أو كذبها يتوقف على طبيعة القيم التي تأخذها المتغيرات في الدوال.

ج- لم يعد المعنى يرتبط بالإشارة في الجمل ، ولكنه أصبح يرتبط بقيمة الصدق، فكل قضية لها معنى تخضع لمبدإ الثالث المرفوع[33]، أي إما أن تكون صادقة أو كاذبة، وليس كما قال "فريج" و"ماينونج". وبهذا يكون رسل قد جعل اللغة لا تقرر شيئا يناقض المنطق.

د- التحليل المنطقي بتمييزه بين المعنى والإشارة يكون قد وفّر الوسيلة التي تسمح لرسل

بالحديث عن المعنى دون الحاجة إلى اللجوء إلى المصادرة عن كينونة الأشياء (الغريبة) مثل "ملك فرنسا الحالي" و"المربع المستدير" وغيرها والتي جعلت أنطولوجيا أصهول الرياضيات -على حد رأي "فندلاي"- حبلى بالمتناقضات والمشاكل(34). بقي لنا أن نعرف حقيقية الدلالة في العبارات الوصفية، في ظل فصل التحليل الجديد بين دلالة الجملة وبين إشارتها في الواقع أو بمعنى آخر كيف تكتسب الأوصاف دلالاتها؟ وما هي قيمتها الدلالية؟.

عن هذين السؤالين يجيبنا رسل -مرة أخرى- بلغة الدالة والمتغير إذ ما دامت العبارات الوصفية هي دوال قضايا، فإنها لا تحمل معنى في ذاتها ولكنها تكتسب ذلك المعنى في سياقات لغوية معينة(35)؛ ففي المثال "المربع المستدير" رأينا رسل لا يعرّف المربع المستدير في ذاته وإنما يعرفه في سياق الدالتين: "س مربع" و"س دائري" صادقتين أحيانا، وهنا نرى أن الوصف : "المربع المستدير" لم يظهر في السياق الذي عُرّف فيه وهو ما يدل على أنه "رمز ناقص" "Incomplete Symbol"، ويفهم رسل الرمز الناقص بأنه: ((رمز ليس مفترض فيه أن يكون له معنى في ذاته أوبإستقلال ولكنه يكتسب معنى في سياق معين)) (36). وبما أن الأوصاف دوال قضايا، فإنها لا تحمل معنى في ذاتها، لأن الدالة إذا أخذت لذاتها هي -كما يرى رسل- "لاشيء" "Nothing" أو هي مجرد "رسم" "Shema "(37). ويحدثنا عما يقصده بوصفه للدالة بأنها لا شيء وأنها مجرد رسم قائلا: ((دالة القضية إذا قامت وحدها، فقد تؤخذ على أنها مجرد هيئة، مجرد غلاف قابل فارغ للمعنى، لا على أنها شيء له دلالة سابقة)) (38).

ومادامت الأوصاف تكتسب معانيها في السياقات التي تعرّف فيها، فإنها لم تعد محتاجة كي تشير إلى أي شيء في الواقع لكي يكون لها معنى، فقد تكفّل التحليل المنطقي بإعطائها معاني مستعارة تكون للأوصاف ما دامت ترد في سياقات قضوية معينة. كما أن ترجمة التحليل المنطقي لتلك الأوصاف إلى دوال القضايا، بيّن إمكانية استبعادها من لغة الدوال التي هي لغة المنطق الحديث -كما أشرنا-، وبهذا يكون التحليل المنطقي، قد حقق أول خطوة نحو "الحد الأدنى من المفردات" الذي تقوم عليه اللغة الكاملة منطقيا، كما يكون رسل قد حقق جزءا من مطالب "تصل أوكام" أو مبدإ "الاقتصاد في الفكر".

بقي لنا أن نقف -قليلا- عند قول رسل بأن هناك جمل إشارية لكنها لا تشير إلى أي

شيء، فإذا كانت مثل هذه الجمل لا تشير فكيف يسميها جملا إشارية؟، هذه التسمية تبدو في ظاهرها متناقضة، إذ يمكننا صياغة تعريف رسل لهذه الجمل على النحو الآتي: "الجملة إشارية لكنها ليست إشارية". لكن يتدخل رسل قائلا: ((الجملة إشارية بالنظر إلى صورتها فقط)) (39). لكن ما المقصود بـ"الصورة" هنا؟ هل هي الصورة النحوية أم الصورة المنطقية؟.

رغم أننا لا نجد إجابة مباشرة على هذا السؤال فإنه يمكن استخلاصها من واقع تحليل رسل للجمل الإشارية. لقد رأيناه يحللها بردها إلى لغة الدالة والمتغير، حيث بيّن أن هذه الجمل ترتد إلى دوال تكون كاذبة دوما، وما يقصده بكاذبة دوما هو أنها لاتصدق على أي شيء في الواقع، وعليه فإن هذه الجمل تبدو في صورتها النحوية أنها تشير إلى أشياء في الواقع لكن بردها إلى الصورة المنطقية نجد أنها لم تعد تشير إلى أي شيء، ومنه فإن ما قصده رسل "بالصورة" هو الصورة النحوية وليست الصورة المنطقية. وهنا نلاحظ أنه قد أدرك في هذه المرحلة، الفرق بين الصورة النحوية للجمل وصورتها المنطقية؛ وأن بيان حقيقة المعنى والإشارة في الجمل يكون عن طريق رد تلك الجمل من صورها النحوية إلى صورها المنطقية.

وهذا يؤكد لنا نقطة هامة أخرى وهي أن الصورة النحوية للجمل لم تعد معيارا للدلالة والإشارة، وإنما صورتها المنطقية. وهو ما يجعلنا نلاحظ مباشرة أن في هذا بداية لتحول رسل عن اللغة العادية التي وقف منها موقفا إيجابيا في نظريته المتقدمة (1903).

2- الوصف الغامض :ترد الأوصاف الغامضة أو غير المحددة في اللغة في صورة "كذا وكذا" أي في صيغة النكرة، وتدل على فكرة ما مثل قولنا "إنسان ما"، "رئيس جمهورية" ومنه فإن الوصف الغامض قد يكون عبارة تامة وقد يكون اسما كليا.(40)

ويتضح وجه الاختلاف بين الأوصاف التي لا تشير إلى شيء، وبين هذا النوع من الأوصاف، في أن كلا النوعين من الأوصاف يرد في عبارات مفهومة للسامع، فلا فرق من حيث الفهم بين أن أقول "قابلت رجلا" أو أن أقول "قابلت فرسا مجنحا". ولكنهما تختلفان من جهة أن للأولى أفرادا في عالم الواقع، وأنها يمكن أن تصدق على أي واحد منهم، أما الثانية فعلى الرغم من أنها مفهومة للسامع إلا أنها لا تصدق على أي فرد من

أفراد الواقع.(41)

ولكن هل لهذا الاختلاف الهام تأثير على تحليل رسل لهذا النوع من العبارات الوصفية؟ إن رسل يعامل هذه الأوصاف الغامضة بنفس معاملته للنوع السابق من الأوصاف؛ فكل العبارات الوصفية سواء كان لها ما صدق أو لم يكن لها، هي دوال قضايا وحكمها حكم الدوال. فعندما نقول مثلا: "قابلت رجلا". فهذا الوصف -يقول رسل- "مبهم جدا"، فما الذي أقرره حقيقة بهذه القضية، لنفرض أنني قابلت في الواقع محمدا، من الواضح أن ما أقرره ليس أنني "قابلت محمدا". فقد أقول "قابلت رجلا ولكنه ليس محمدا"، وهكذا فما أقرره حقيقة ليس شخصا محددا في الواقع ولكن ما أقرره هو تصور أو فكرة.(42) ومنه يكون التحليل الصحيح لمثل هذه العبارة الوصفية هو: ((قابلت س وس رجل صادقة أحيانا))(43) أي صادقة من أجل قيمة واحدة على الأقل للمتغير س. حيث يتبيّن أن هذه العبارة ليست قضية مثل "قابلت محمدا" التي تسمي شخصا محددا في الواقع ولكنها دالة قضية تحتوي على مكون غير محدد هو س. لذلك يقول رسل : ((إن القضايا التي تشير بألفاظها إلى كذا وكذا، عند تحليلنا لها تحليلا صحيحا، نجد أنها لا تشتمل على أي مكون تمثله هذه القضايا)) (44) ، أي أنها لاتشتمل على مكون محدد كما هو الحال في القضايا التي تحتوي على أسماء أعلام مثل القضية "قابلت محمدا".

بقي أن نعرف ما معنى الوجود في العبارات الوصفية الغامضة، ما معنى قولنا "الناس موجودون"، هذه العبارة الوصفية تنحل إلى الدالة "س إنسان" صادقة أحيانا. حيث يقول :((نقول عن "كذا وكذا" يوجد إذا كانت الدالة "س هو كذا وكذا" صادقة أحيانا)) (45) أي أن الوجود في الأوصاف التي من الصورة "كذا وكذا" لا يفيد الوجود الواقعي لأفراد الموضوع، وإنما هو خاصية للدالة الصادقة أحيانا، فنحن نقول قضايا مفهومة مثل "يوجد ناس في تمبكتو"، لكن أشك -يقول رسل- في أن أحدكم يستطيع أن يعطيني مثلا عن واحد من هؤلاء الناس.(46) وعليه يقول رسل :((أنك تستطيع أن تعرف القضايا الوجودية دون أن تعرف أي واحد من الأفراد اللذين يجعلون تلك القضايا صادقة)).(47) لهذا فإن الوجود ليس صفة للأفراد الجزئية التي تجعل القضايا الوجودية صادقة، لكنه صفة للدوال الصادقة أحيانا. وفي هذا تراجع عن معنى الوجود الذي تبناه رسل في نظريته المتقدمة.

كان هذا عن نظريته في القضايا الوجودية، فماذا عن القضايا العامة؟ وكيف ينظر إلى قضية مثل "كل الإغريق ناس"؟. يجيب رسل: ((إنني أريد أن أقول بشكل مؤكد أن القضايا العامة يجب أن تترجم على أنها لا تتضمن الوجود، عندما أقول مثلا: "كل الإغريق ناس"، فإنني لا أريدك أن تفترض أن هذه تتضمن أنه يوجد إغريق...)).(48) لذلك فإن القضايا العامة تتحل إلى الدوال الصادقة دوما وعليه فإن القضية "كل الإغريق ناس" تتحل إلى: "إذا كان س إغريقي فإن س إنسان" صادقة دوما أي صادقة في كل الأحوال، وبهذا يتخلص رسل من "الإلزام الوجودي" على غرار ما فعل "فريج".

كما يرى أن فكرة كون القضايا العامة لا تقرر وجودا لأفراد موضوعاتها لم يدركها "أرسطو" وأتباعه الذين إعتقدوا أن القضية العامة تقرر وجودا. و نجد هذه الفكرة واضحة في الضرب الأول من الشكل الثالث من القياس وهو الضرب المسمى "ضربتي" "Darapti"، حيث يتم فيه إستنتاج نتيجة جزئية من مقدمتين كليتين. وهو إستنتاج غير مشروع في نظر رسل لأن فيه إنتقال من قضيتين كليتين لا تقرران وجودا إلى قضية جزئية يفهمها رسل على أنها تفيد يوجد شيء واحد على الأقل.(49) وهكذا إذا كانت القضايا الكلية لا تقرر وجودا على خلاف القضايا الجزئية، فإن قياسا مثل "كل الغيلان حيوانات" و"كل الغيلان تنفث لهبا"، إذن "بعض الحيوانات تنفث لهبا"، سيكون قياسا خاطئا.(50) وهكذا أيضا يكون قانون "العكس بالعرض"(51) "Converse Per Accident" خاطئا أيضا.(52) ويذهب الى أن عدم القدرة على إدراك أهمية التفرقة بين دوال القضايا وبين القضايا كان أمرا مشينا للفلسفة.(53)

وهنا نرى بوضوح مدى الإختلاف بين مفهوم القضية في نظرية رسل المتقدمة وبين مفهومها في نظريته الوصفية. فبعد أن كان ينظر إلى القضية على أنها حد منطقي حقيقي على غرار الأسماء، وبعد أن كان ينظر إلى العبارات التي تحتوي على أسماء كلية كقضايا وأنها تشير إلى أشياء واقعية، أصبح في نظرية الأوصاف ينظر إلى تلك العبارات على أنها أوصاف غامضة أو دوال قضايا أي "رموز ناقصة" مثلها في ذلك مثل الأوصاف التي لا ما صدق لها أو التي لا تشير إلى شيء. وهكذا أيضا العبارة "قابلت رجلا في الشارع" لم تعد تشير إلى شخص محدد يمشي على رجلين كما قال رسل -في نظريته المتقدمة- ولكنها أصبحت دالة قضية هي: "قابلت س في الشارع

وس رجل" صادقة أحيانا حيث قيمة س هنا غير محددة.

ومن هنا يتبيّن لنا أن الأوصاف الغامضة والتي ترد إما في صورة النكرة أو في صورة قضايا وجودية أو قضايا عامة، هي دوال قضايا وهي إما أنها لا تقرر شيئا عن الواقع أو أنها لا تشير إلى أي شيء محدد. كما أن الرابطتين "كل" و"بعض" لم تعد تشير بدورها إلى أي شيء محدد فضلا عن أنها لم تعد تحمل معنى في ذاتها، وإنما تكتسب معنى من خلال تعريفها في السياقين "صادق دائما" و"صادق أحيانا" على التوالي، ومنه فهي بدورها رموز ناقصة. وإذا كان رسل يقول أن كل قضية ذات معنى تخضع لمبدإ الثالث المرفوع، فليس معنى هذا أن العبارة الوصفية الغامضة يكون لها معنى إذا كانت فقط صادقة ولكنها تكون أيضا ذات معنى حتى لو كانت كاذبة -حيث يقول رسل: ((والشروط بأن دالة ما يجب أن تكون "ذات دلالة" "Significant" لمتغير معلوم هو كالشرط نفسه بأنها تأخذ قيمة لذلك المتغير، إما صادقة أو كاذبة...)).(54) وهو ما يبيّن : أولا أن المجال الدلالي في الدوال أو العبارات الوصفية أوسع من مجال القيم التي تكون تلك الدوال أو العبارات صادقة بالنسبة إليها. ثانيا يبيّن أن الدلالة في هذه العبارات لم تعد مرتبطة بصدق هذه العبارات على مراجع معينة، ومنه إستقلال الدلالة عن الإشارة، ولكنه إستقلال منقوص، بما أن هذه الدلالة ترتبط بسياقات قضوية معينة.

3- **الوصف المحدد**:حظي هذا النوع من الأوصاف بأهمية خاصة عند رسل، حيث تناوله في العديد من مؤلفاته.(55) كما حظي بالإهتمام والدراسة من قبل الكثير من المناطقة أمثال "فريج"، "كارناب"، "ستراوسن"، "كواين" وغيرهم.(56) وقد إرتبطت مسألة الأوصاف المحددة عند رسل بشيئين إثنين:

أ- بأداة التعريف "ال" التي إتخذ منها موقفا واقعيا أفلاطونيا في نظريته المتقدمة(57)، بحيث نجد الكثير من الأوصاف المحددة ترد في عبارات لغوية تبتدئ بأداة التعريف، الشيء الذي جعل رسل يخصص "بابين" كاملين في كتابه "مقدمة للفلسفة الرياضية" للبحث في هذه الأداة، ذاهبا إلى القول، أن لهذا الحرف أهمية عظيمة بالنسبة للرياضي الفيلسوف.(58) كما يؤكد على أن تعريف هذه الأداة، له أهمية كبيرة في التعريف بالأوصاف المحددة قائلا: ((إن تعريف حرف التعريف "ال" "في المفرد" من النقاط الهامة جدا في التعريف بالأوصاف المحددة)).(59)

ب- إرتبطت مسألة الأوصاف المحددة بمشكلة علاقة الهوية التي تقوم بين إسم علم ووصف محدد؛ حيث نجد رسل يقيم نظريته الوصفية على فكرة التعارض بين إسم العلم "سكوت" والوصف المحدد "مؤلف ويفرلي".(60)

وكدليل آخر على المكانة الخاصة التي حظيت بها الأوصاف المحددة في نظرية رسل الوصفية، أن "ستراوسن" يذهب إلى أن النظرية الوصفية تهتم بجمل تبتدئ بأداة التعريف متبوعة باسم مخصوص أو غير مخصوص في المفرد.(61) كما أن "كابلان" يرى أن نظرية الأوصاف تتعلق بتحليل الجمل التي تحتوي على أوصاف محددة(62)، ويذهب "فهمي زيدان" إلى نفس الرأي قائلا: ((لم ينظر رسل إلى الوصف الغامض على أنه الوصف الذي يبحث عن تحليله، لكن تحليله للوصف المحدد هو هدف نظريته)).(63)

لكن مع أننا لا ننكر المكانة الخاصة التي أولاها رسل للأوصاف المحددة إلا أنها لم تحتل كل نظريته الوصفية، فقد أراد بواسطة هذه النظرية حل المشكلات التي نتجت عن واقعيته الأفلاطونيةولعل أهم تلك المشكلات هي توحيده بين الدلالة والإشارة وما نتج عنه من إعتراف بكثرة من الأشياء الغريبة والتي لا يمكن لفيلسوف ذا نزعة تجريبية أن يقبلها، إذن فقد كان هدفه الأساسي هو الوصول إلى الحد الأدنى من الكائنات حسب ما يقتضيه "تصل أوكام". وقد رأينا -فيما سبق من هذه الدراسة- أنه يتخلص بواسطة التحليل المنطقي من الجمل الإشارية سواء التي لا تشير إلى شيء أو الجمل الإشارية الغامضة. كما أنه يتخلص من الروابط "كل"، "جميع"، "أي"، "بعض" وغيرها عن طريق بيان أن هذه الرموز ليست لها دلالة باستقلال، وإنما تكتسب دلالة في سياقات معينة.

لنعد إلى الأوصاف المحددة؛ الوصف المحدد هو عبارة لغوية تتألف من حد عام مسبوق بأداة التعريف أو في صيغة المضاف، وقد يتبع بلفظ أو أكثر يدل على تحديد خاصية محددة، ويشير الوصف المحدد إلى شيء محدد أو شيء معين دون سواه.(64) وأمثلته عنده: "مؤلف ويفرلي"، "ملك إنجلترا الحالي"(65)، "الرجل ذو القناع الحديدي"، "آخر رجل دخل الغرفة"(66)...إلخ. وترد الأوصاف -كما رأينا- في اللغة على صورة "الكذا وكذا" في المفرد.

تتميز الأوصاف المحددة عن الأوصاف الغامضة في ناحية هامة هي أن أداة التعريف "ال" "The" عندما تستعمل إستعمالا منطقيا دقيقا فإنها تستلزم الإنفراد أو التفرد

""Uniqueness(67)، وهذا المعنى الذي يستخدم فيه أداة التعريف، يجعل بعض العبارات التي تكون مسبوقة بأداة التعريف أوصافا محددة غير حقيقية ""Improper(68) فعندما نقول "الملك الحالي لفرنسا" فهذه عبارة تبتدئ بـ"ال" ومع ذلك فهي ليست وصفا محددا حقيقيا لأنه لا يوجد ملك في فرنسا حاليا(69) كما أن عبارة "الساكن للندن" ""The Inhabitant of London ليست وصفا محددا حقيقيا لأن سكن لندن -يقول رسل- ليست سمة فريدة(70)، ومنه يحصر مجال الأوصاف المحددة الحقيقية في العبارات التي تفيد أنه يوجد "كذا وكذا" واحد على الأقل وعلى الأكثر.(71) وما دامت أداة التعريف، عندما تستخدم إستخداما منطقيا تستلزم الوحدة أو التفرد، فإن عبارة وصفية مثل "أب شارل الثاني نفذ فيه حكم الإعدام" تفيد أنه وجد "س" كان أبا لشارل الثاني وأنه قد حكم عليه بالإعدام.(72) هنا نجد أن أداة التعريف لا تقرر فقط أن "س" يرتبط بعلاقة معينة بشارل الثاني ولكنها تقرر أيضا أنه لا يوجد أكثر من شخص واحد يرتبط بتلك العلاقة بشارل الثاني، أي بمعنى أن شارل الثاني له أب واحد لا أكثر.(73) بل إن رسل يذهب إلى أبعد من هذا حيث يرى أنه عندما نقول الإبن لـ"كذا وكذا" فإن هذه العبارة تشير إلى فرد واحد على الأكثر حتى لو كان لـ "كذا وكذا أولاد كثيرون".(74)

وهنا نجد إختلافا واضحا بين تحليل رسل وفهمه للوصف المحدد وبين فهم وتحليل "فريج" له؛ فبينما يرى "فريج" أن عبارة مثل الإبن الوحيد لـ"كذا وكذا" (والذي له عائلة من عشرة أعضاء) تشير إلى فئة كل أولاده، فإن رسل يقول أن مثل هذه العبارة تشير إلى فرد واحد على الأكثر، وبينما ذهب "فريج" إلى أن عبارة مثل "ملك فرنسا الحالي" تشير إلى الفئة الفارغة. فإن رسل يستبعد هذه العبارة من مجال الأوصاف المحددة الحقيقية لأنها لا تشير إلى أي شيء.

ولكي نحصل على قضية مُكافئة منطقيا للوصف المحدد "س كان أبا لشارل الثاني" ينبغي أن نضيف للقضية "س أنجب شارل الثاني" العبارة: "إذا كان ص أنجب شارل الثاني، فإن ص هو س"، وهكذا العبارة "س أب شارل الثاني" تصبح -حسب مقتضى الإنفراد- "س أنجب شارل الثاني" و"إذا كان ص قد أنجب شارل الثاني، فإن ص هو س" صادقة دائما بالنسبة لـ ص.(75) أي صادقة مهما تكن "ص"، وهو ما نفهم منه أنه

لا يوجد أكثر من شخص واحد يحل محل "س" في "س أنجب شارل الثاني" أي بمعنى أن شارل الثاني له أب واحد على الأكثر. وبناء على هذا التحليل فإن العبارة الوصفية المحددة "أب شارل الثاني نفّذ فيه حكم الإعدام" تردّ إلى الدالة التالية: إنه ليس من الكاذب دائما بالنسبة لـ س حيث س أنجب شارل الثاني وأن س قد نفّذ فيه حكم الإعدام وأنه "إذا كان ص قد أنجب شارل الثاني، فإن ص هو س" صادقة دائما بالنسبة لـ ص.(76)

وتفيد هذه الترجمة الجديدة للعبارة الوصفية مايلي: "ليس من الكاذب دائما" مشتقة من اللامعرفة "صادق أحيانا" وهي تعني يوجد واحد على الأقل "ص هو س صادقة دائما" تفيد أنه يوجد شخص واحد على الأكثر يكون أبا لشارل الثاني، وهذا هو مقتضى الوحدة أو التفرد.

و هكذا يعرّف رسل "ال" في حدود "ليس كاذب دائما" أو "صادق أحيانا" و"صادق دائما" وبذلك يتخلص من أداة التعريف "ال" مستبدلا أياها بشرط الوحدة "Clause D'unicité" التي تعني أنه يوجد على الأقل وعلى الأكثر شخص واحد.(77) وهكذا أيضا نجد أن أداة التعريف بردها إلى الصورة المنطقية تستبعد إمكانيتين:

أ- إمكانية غياب الإشارة أو المرجع، وتستبعد هذه الإمكانية بواسطة شرط الوجود لقيمة واحدة على الأقل للمتغير س فيها.

ب- إمكانية تعددية المراجع كما هو الحال في العبارة "الساكن للندن"، وذلك بواسطة شرط الوحدة أو التفرد.

ومن ثم لا يبقى التحليل المنطقي لأداة التعريف إلا العبارات الوصفية المحددة التي تصدق على شيء واحد على الأقل وعلى الأكثر. ولجعل هذا المعنى أكثر صورية وأكثر رمزية، فإن رسل و"وايتهد" يعرفان الوصف المحدد في مبادئ الرياضيات تعريفا رمزيا وتحت رقم 14.01 كالآتي:

14.01[(1س)(تاس)] فا(س)(تاس) =(E ص):تاس <=> س، س=ص: فاص تع(78) يقرأ هذا التعريف الرمزي : يوجد حد ما س يشبع الدالة (تاس) ويشبع أيضا الدالة (فاس) معناه القول: أنه يوجد حد ما ص بحيث تكون تا س صادقة إذا وفقط إذا كان س هو ص، وص يشبع الدالة فا. وفي هذا التعريف الجديد للوصف المحدد نجد أن شرط الوحدة الذي وضع لأول مرة في :"في الإشارة" عوّض برمز أكثر دقة هو المكمم

الجديد (1س)، وهكذا أصبح الوصف المحدد معبرا عنه ابتداءا من مبادئ الرياضيات بالصيغة الرمزية (1س)(تاس) التي تقرأ: س الوحيد الذي يشبع تاس.
وهكذا نجد أن الثابت المنطقي الجديد (1س) لا يختلف كثيرا عن الثابتين "كل و"بعض" اللتان يرمز لهما عل التوالي بـ: (س) و(E س) أي عن ثابتتي الكلية والوجودية، فإذا كان الثابت الكلي (س) في الدالة (س)(تاس) يعبّر عن خيار من كل القيم في المجال الدلالي للدالة (تاس)، وإذا كان الثابت الوجودي (E س) يعبّر عن خيار من بعض القيم في المجال الدلالي للدالة (تاس)، فإن ثابت الوحدة (1س) يعبّر عن خيار لقيمة واحدة على الأقل وعلى الأكثر من المجال الدلالي للدالة (تاس). وهو ما يجعل كل قضية تحتوي على وصف محدد هي دالة قضية، ومن ثم فهي تخضع لنفس شروط التحديد " Conditions de Deternaminabilité" التي تخضع لها القضايا الكلية والوجودية(79) .
هذان النوعان من القضايا هما اللذان ترد فيهما الأوصاف الغامضة.
هذا من ناحية الصدق في الأوصاف المحددة؛ فماذا عن الدلالة؟؛ لقد لاحظنا في التعريف 14.01 أن رسل و"وايتهد" لا يعرّفان رمز الوصف المحدد (1س)(تاس) في ذاته وإنما يعرّفان السياق القضوي الذي يرد فيه، ومنه فإن الرمز الجديد (1س)(تاس) هو بدوره رمز ناقص(80) وهو ما ينتج عنه أننا لا نحاول تعريف "(1س)(تاس)"، ولكن نعرّف إستعمالات "The Uses" هذا الرمز أي القضايا التي يرد فيها.(81)كما نلاحظ على ذات التعريف أن الأداة "ال" المعبر عنها بـ(1س)(تاس) لم تظهر في الترجمة الجديدة وهي:
فا(س)(تاس)= .(E ص): تاس <⟹> س، س=ص.
وهو ما يبيّن أن أداة التعريف قد أمكن إستبعادها -أيضا- بعد أن تم إستبدالها بالثابت المنطقي (1س) في الدالة (1س)(تاس) والتي لا تعني في ذاتها شيئا، حيث لايعطيها مؤلفا مبادئ الرياضيات معنى إلا في سياق التعريف رقم 14.01. لكن مع أن هناك تشابها كبيرا بين الأوصاف الغامضة وبين الأوصاف المحددة من جهة طبيعة الصدق والدلالة، إلا أنه تبقى للأوصاف المحددة ميزة خاصة تكمن في أنها وعلى خلاف الأوصاف الغامضة التي تصدق على أكثر من شيء واحد وبطريقة غامضة، وأيضا على خلاف الأوصاف التي لا تشير إلى شيء، فإن الأوصاف المحددة تصدق وبطريقة واضحة على شيء واحد على الأكثر. ومن هنا جاءت أهمية الأوصاف المحددة، ولهذا

إعتبر الوصف المحدد الرمز الأكثر غنى في المنطق.(82)
لكن إذا كان الوصف المحدد يشير إلى شيء واحد على الأكثر، وإذا كان إسم العلم – على حد رأى رسل– يسمي ما ليس بكثير من الحالات (83) فهل يمكن النظر إلى الوصف المحدد على أنه إسم علم؟ هذا هو السؤال المركزي الذي قامت عليه نظرية الأوصاف، وهو السؤال الذي نتناوله فيما يأتي:
جـ–الوصف المحدد واسم العلم :إن توحيد الوصف المحدد بإسم العلم –كما فعل رسل في نظريته المتقدمة– كان دائما مصدر صعوبات، وكما يرى "كارناب" فإن "مبدأ علاقة الإسم" "Priciple of The Name Relation" إذا كان يسمح لنا بتعويض الإسم بإسم آخر يسمي نفس الشيء فإن هذا المبدأ رغم أنه يبدو لنا مقبولا لدرجة كافية، إلا أنه ليس صحيحا في كل الحالات(84). وقد تنبه رسل إلى هذه الملاحظة من خلال نظريته في الأوصاف، بل إننا نجده يجعل من الإختلاف بين إسم العلم "سكوت" وبين الوصف المحدد "مؤلف ويفرلي" نقطة إرتكاز نظريته؛ إذ نجده يعمل عن طريق التحليل المنطقي لعلاقة الهوية، على إبراز جوانب الإختلاف الهامة بين إسم العلم وبين الوصف المحدد. وسنتناول أهم هذه الإختلافات فيما يأتي:
1–يختلف الوصف المحدد عن إسم العلم، من ناحية القيمة الدلالية، وقد عبّر رسل عن هذا الأختلاف بقوله: ((بناء على الرأي الذي أدافع عنه، الجملة الإشارية هي جزء أساسي من الجملة التي ترد فيها، ولا يكون لها معنى لحسابها الخاص بخلاف أغلب الكلمات المفردة)) (85)، فإذا أخذنا "سكوت" كإسم علم، و"مؤلف ويفرلي" كوصف محدد، فإننا نجد أن "سكوت" كلمة مفردة أو رمز بسيط معناه شيء ما يرد فقط كموضوع في قضية أي كفرد أو جزئي. والرمز البسيط –عند رسل– رمز ليست أجزاؤه رموزا(86) ومنه فإن "سكوت" مع أنه ينحل إلى مجموعة حروف إلا أن هذه الحروف ليست رموزا(87). بينما "مؤلف ويفرلي" رمز مركب ينحل إلى رمزين هما "مؤلف" و"ويفرلي" وعليه فإن "مؤلف ويفرلي" ليست رمزا بسيطا(88). وهكذا نجد أن إسم العلم يختلف عن الوصف المحدد بكونه رمزا بسيطا يدل مباشرة عند رسل على فرد جزئي هو الذي يشكل معناه، ويكون له هذا المعنى من حقه مستقلا عن معاني سائر الألفاظ الأخرى(89). ومنه فإن إسم العلم رمز تام لا يتوقف معناه على ألفاظ

أخرى، على خلاف الوصف المحدد الذي يتكون من عدة ألفاظ معانيها -يقول رسل- ثابتة من قبل وعنها ينشأ أي شيء نأخذه كمعنى للوصف(90)؛ فمعنى "مؤلف ويفرلي" يتوقف على:

أ- على معنى كل من اللفظتين: "مؤلف" و"ويفرلي".

ب- على السياق الذي ترد فيه، فقد رأينا رسل لا يعرّف الوصف المحدد في ذاته وإنما يعرّف السياق الذي يرد فيه؛ ومنه فإن الوصف المحدد رمز ناقص يكتسب معناه "في الإستعمال". "In Use"(91). وهنا نكتشف الفرق الهام من جهة القيمة الدلالية، بين كل من إسم العلم والوصف المحدد، وهذا إذا نظرنا إليهما من حيث البساطة والتركيب.

غير أن اعتماد البساطة والتركيب كمعيار في التفرقة بين الوصف المحدد وإسم العلم، لا يصلح في كل الأحوال؛ فنحن نجد في اللغة العربية -مثلا- أسماء أعلام مركبة مثل "عبد الحميد" و "جاد الحق" و "حضر موت" و "كربلاء" وغيرها، وكلها أسماء أعلام ترد كموضوعات في قضايا كما هو الحال عندما نقول: "كربلاء مدينة في العراق"...إلخ.

2-يفرّق رسل بين اسم العلم وبين الوصف المحدد من خلال تفرقته بين القضية ودالة القضية، أي بين العبارة التي يكون موضوعها فرد جزئي (إسم علم) وبين العبارة التي يكون موضوعها إسم كلي، فالأسماء الكلية هي عبارات وصفية، وهذا ما عبّر عنه بقوله: ((... وما لبثت بعد ذلك أن تبيّنت أن الأسماء الكلية أعني الرموز الدالة على فئات، إن هي إلا عبارات وصفية وحكمها حكم تلك العبارات)) (92)، ومنه يختلف إسم العلم عن الوصف المحدد بكونه يرد كموضوع في قضية بسيطة تكون إما صادقة أو كاذبة، بينما يرد الوصف المحدد إما كموضوع أو كمحمول، ومادام الوصف المحدد يقبل الحمل على خلاف إسم العلم، فإنه دالة قضية تتخذ الصورة (1س)(تاس)، ولايمكننا الحكم عليها بالصدق أو بالكذب إلا إذا أعطينا قيمة لمتغير (س) فيها. وعليه فإذا كانت لدينا القضية "سكوت شاعر" فإننا نجد أنها قضية حملية بسيطة تقرر واقعة في تاريخ الأدب يمكن التحقق من صدقها عن طريق مقارنتها بالواقع، بينما في جملة مثل: "مؤلف ويفرلي شاعر" نجد أنها تنسب محمولا إلى وصف محدد ومن ثم فهي دالة قضية لأن "مؤلف ويفرلي" ليست موضوعا منطقيا حقيقيا والذي تمثله فقط أسماء الأعلام لهذا يقول رسل: ((ما دامت "مؤلف ويفرلي" تمثل مكان الموضوع في القضية فإنه يجب

إعتبارها موضوعا حسب مكانها من القضية لا موضوعا منطقيا)).(93)

3- يفرّق رسل بين إسم العلم والوصف المحدد من خلال تحليله لعلاقة الهوية، كما تمثلت في ما سمي- "بلغز الملك جورج الرابع"، الذي أراد أن يعرف ما إذا كان سكوت هو مؤلف ويفرلي، حيث يرى رسل: أن جورج الرابع أراد أن يعرف في الحقيقة ما إذا كان شخص واحد وواحد فقط كتب ويفرلي، و ما إذا كان سكوت هو هذا الشخص(94)، أي أنه أراد أن يعرف ما إذا كان سكوت هو مؤلف ويفرلي ولم يكن يريد أن يعرف ما إذا كان سكوت هو سكوت.

ويمكننا أن نعترض على هذا التأويل الذي يقدمه رسل لتساؤل جورج الرابع ونقول أن "سكوت هو مؤلف ويفرلي" تقرر أن "سكوت" و"مؤلف ويفرلي" هما إسمين لشخص واحد، لكن يعترض رسل على هذا الفهم بقوله: ((إذا كانت القضية سكوت هو مرلف ويفرلي تعبر عن هوية بين إسمين، فإنه ما يكون مطلوبا لكي تكون هذه القضية صادقة هو أن شخصا ما سمى سكوت بمؤلف ويفرلي، وإذا كان كذلك، فإن القضية ستكون صادقة حتى لو أن شخصا آخر غير سكوت كتب ويفرلي. وفي المقابل إذا لم يكن هناك أي شخص قد سمى سكوت بمؤلف ويفرلي، فإن القضية ستكون كاذبة حتى لو أنه هو الذي كتب ويفرلي. ولكن الواقع أن سكوت هو مؤلف ويفرلي في وقت لم يكن أحد قد سماه بمؤلف ويفرلي [وهكذا ينتهي رسل إلى أن القضية] سكوت هو مؤلف ويفرلي، ليست قضية عن الأسماء مثل "نابليون هو بونابرت"، وهذا يبيّن المعنى الذي تختلف فيه مؤلف ويفرلي عن إسم علم حقيقي)).(95)

وإذا نحن رجعنا إلى التعريف المنطقي لعلاقة الهوية في مبادئ الرياضيات والذي وضع تحت رقم 13.01، فإننا سنصل إلى نفس النتيجة التي إنتهى إليها رسل وهي أن الوصف المحدد لا يكون أبدا في علاقة هوية مع إسم العلم، حتى لو كان الوصف المحدد يشير إلى نفس الشخص الذي يسميه إسم العلم. ذلك التعريف هو: 13.01: س= ص = : (تا) .(تاس)<=>(تاص) تع(96). ومعناه أن س وص يكونان في هوية إذا كانت كل دالة تشبع من س تشبع أيضا من ص؛ فإذا نحن عوضنا في التعريف السابق، س بـ"سكوت" وص بـ"مؤلف ويفرلي" فإننا نحصل على: سكوت هو مؤلف ويفرلي معناه، مهما تكن الدالة (تا) فإنها إذا كانت تشبع من "سكوت" فإنها تشبع أيضا من "مؤلف

ويفرلي" لكن هذه القضية الجديدة لا يمكن أن تكون صحيحة لأن مؤلف ويفرلي -على خلاف سكوت- ليس قيمة للدالة (تا)، بما أن مؤلف ويفرلي دالة قضية، ودالة القضية لا يمكن أن تكون قيمة لذاتها.(97)

ولتوضيح هذا البرهان أكثر نستخدم "البرهان بالخلف" الآتي: لنفرض أن "مؤلف ويفرلي" هو إسم علم في القضية "سكوت هو مؤلف ويفرلي" وأنه يدل على شيء ما ص، حيث تصبح القضية "سكوت هو ص". لكن إذا كان ص شيء آخر غير سكوت، فإن القضية ستكون كاذبة. بينما إذا كان ص هو سكوت فإن القضية تصبح "سكوت هو سكوت"، وهي تعبّر عن هوية تحليلية تختلف تماما من ناحية القيمة المعرفية عن القضية الإصلية "سكوت هو مؤلف ويفرلي"، التي هي ليست كاذبة كما أنها ليست تحليلية. إذن فإن مؤلف ويفرلي ليست إسم علم في هذه القضية. وبهذا بيّن رسل وعلى غرار "فريج" كيف يمكن أن تكون قضايا الهوية صادقة وليست تحليلية.

4- يفرّق رسل بين إسم العلم وبين الوصف المحدد عن طريق بيان أن الوصف المحدد يمكن إستبعاده من الترجمة المنطقية، فعندما يترجم وصفا محددًا فإن هذا الوصف لا يظهر في الترجمة الجديدة على عكس إسم العلم الذي يبقى في تلك الترجمة، الشيء الذي سمح لرسل أن يخلص إلى أن الوصف المحدد ليس مكونا حقيقيا في القضية. ولتوضيح هذه الفكرة نأخذ "مفدي زكريا هو مؤلف إلياذة الجزائر" بدلا من مثال رسل: "سكوت هو مؤلف ويفرلي"، حيث يكون معنى المثال بناء على التعريف رقم 14.01 هو: شخص واحد وواحد فقط كتب إلياذة الجزائر وهذا الشخص هو مفدي زكريا. هذه القضية لاتكون كاذبة إلا في حالات ثلاث هي:

أ- إذا لم تكن إلياذة الجزائر قد كتبت على الإطلاق.

ب- إذا كانت قد كتبت من قبل أكثر من شخص واحد.

ج- إذا كان الذي كتبها شخص آخر غير مفدي زكريا.

وعكس هذه الحالات تكون القضية صادقة، أي:

أ- إذا كانت إلياذة الجزائر قد كتبت بالفعل.

ب- إذا كانت قد كتبت من قبل شخص واحد وليس بالإشتراك.

ج- إذا كان الشخص الذي كتبها هو مفدي زكريا.

وبناء عليه تنحل القضية "مفدي زكريا هو مؤلف إلياذة الجزائر" إلى الدالات الثلاث الآتية:

أ- س كتب إلياذة الجزائر صادقة أحيانا.

ب- إذا كان س، ص كتبا إلياذة الجزائر فإن س هو ص صادقة دوما.

ج- إذا كان س كتب إلياذة الجزائر فإن س هو مفدي زكريا صادقة دوما.

وهنا نلاحظ أن الوصف المحدد "مؤلف إلياذة الجزائر" لم يظهر في الترجمة الجديدة، أو أنه على حد -قول رسل- إختفى بالتحليل(98)، وهو ما يدل على أنه ليس مكونا حقيقيا في القضية، على خلاف إسم العلم "مفدي زكريا" الذي ظهر في الترجمة الجديدة.

5- يفرّق رسل بين الوصف المحدد وإسم العلم من خلال بيانه كيفية نفي العبارات الوصفية التي لاتشير إلى شيء، لتوضيح هذه الكيفية نأخذ العبارة: "ملك فرنسا الحالي ليس أصلعا". هذه العبارة غامضة وتحتمل معنيين أحدهما كاذب والآخر صادق؛ فهي تكون كاذبة إذا كانت تعني: يوجد شخص يكون حاليا ملكا لفرنسا وهو ليس أصلعا. بينما تكون صادقة إذا كانت تعني: إنه من الكذب أن يوجد شخص يكون حاليا ملكا لفرنسا وهو أصلع(99). أي أن هذه العبارة تكون كاذبة إذا كان النفي ينصب فقط على جزء منها، بينما تكون صادقة إذا كان النفي ينصب على كل العبارة.

ولكي يبيّن رسل كيف يكون النفي الصحيح للعبارات الوصفية التي لا تشير إلى شيء أدخل تفرقته بين ما أسماه بـ"الورود الإبتدائي" "Primary Occurance" وبين ما أسماه بـ"الورود الثانوي" "Scondary Occurance"(100) ولا يعرف رسل هذين المصطلحين، ولكنه يكتفي بإعطاء أمثلة عنهما حيث يقول: ((يكون للوصف ورودا ابتدائيا إذا كان جزءا من قضية أكبر كما هو الحال عندما نقول مؤلف ويفرلي موجود أو أعتقد أن مؤلف ويفرلي كان إنسانا...)).(101) ويزيد رسل هذه النقطة توضيحا حيث يقول: ((إن كل قضية يكون فيها للوصف ورودا ابتدائيا تتضمن أن الشيء الموصوف موجود)) (102)، في هذه الحالة يكون النفي جزئيا وينصب فقط على صفة (الصلع) التي تنسب لملك فرنسا الحالي. ومادام ملك فرنسا الحالي غير موجود فإنه لن يرد ورودا إبتدائيا وإنما يرد ورودا ثانويا ومن ثم فإن النفي الصحيح للعبارات التي يرد فيها، يكون دائما نفيا كليا. أي لا ننفي عنه صفة الصلع فقط وإنما ننفي عنه صفة

الوجود أيضا. لأننا -كما يرى رسل- إذا لم نفهم كيف يتم نفي القضية التي تحتوي على وصف، فإننا سننتهي إلى النتيجة التي مفادها أن القضية لن تكون صادقة سواء كان ملك فرنسا الحالي أصلعًا أو ليس أصلعًا. بسبب أنه إذا نحن أحصينا كل الأشياء التي هي صلعاء وإذا نحن أحصينا كل الأشياء التي هي ليست صلعاء فإننا لن نجد ملك فرنسا الحالي في أي من القائمتين، ومن ثم لا يبقى لدينا -يقول رسل- إلا أن نفترض أنه يلبس شعرا مستعارا.(103)

وما يهمنا في هذا هو أنه عندما نكون بإزاء الأوصاف، تكون لدينا إمكانيتان للنفي، النفي الجزئي في حالة الورود الإبتدائي، والنفي الكلي في حالة الورود الثانوي، لكننا عندما نكون بإزاء أسماء أعلام فإنه تكون لدينا إمكانية واحدة فقط للنفي هي النفي الجزئي؛ لنأخذ المثال الآتي: "سكوت شاعر" لنفي هذه القضية هناك طريقة واحدة هي: "سكوت ليس شاعر"، ويمكن لأحد أن يعترض قائلا أنه يمكن القول أيضا: "ليس سكوت شاعر"، ولكن هذا الإستخدام للنفي لا يمكن أن يقبله رسل وذلك لسببين:

أ- اسم العلم -كما رأينا- لا يكون له معنى إلا إذا كان يسمي شخصا موجودا في الواقع ومنه فإن إستخدام أو ربط إسم العلم بأداة النفي يتعارض مع مقتضى إسم العلم.

ب- أداة النفي التي هي واحدة من الثوابت المنطقية لا تدخل على أسماء الأعلام ولكنها تدخل على الأسماء الكلية، وهذه نقطة هامة نبّه إليها "فريج" وهو بصدد التفرقة بين القضية الشخصية والقضية العامة. كانت هذه أهم جوانب الإختلاف التي لاحظها رسل بين الأوصاف المحددة وأسماء الأعلام وعمل على إبرازها من خلال:

1- إختلافها من جهة البساطة والتركيب.

2- إختلافها من جهة الدلالة.

وكان هدفه من إبراز هذه الإختلافات الوصول إلى شيء أساسي هو: بيان النقص الدلالي في الأوصاف المحددة. إذ ما دامت الأوصاف المحددة هي رموز ناقصة ليس لها معنى في ذاتها، وإنما تكتسب معنى في سياقات معينة فإنها يمكن أن تستبعد -على غرار النوعين السابقين من الأوصاف- من مجال اللغة المنطقية، أي لغة الدالة والمتغير.

هوامش الفصل

1 -رسل:الفلسفة بنظرة علمية،تلخيص وتقديم،زكي نجيب محمود،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،1960،ص266.وRussell:Philosophy of logica Atomism, in, Logic and Knowledge, Essays(1901-1950), George Allen and Unwin, London,1950,p178.

1- Russell : Signification et Verité , trad de, Phillipe Devaux, Flammarion, Paris,1969,p375.

2- Russell :Our Knowlege of The External World,), George Allen and Unwin, London,1952,p42.

3 -Ibid, Same page.

4 - Russell : On Denoting , in Logic and Knowlege p,41.

5 - رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية،ترجمة محمد مرسي أحمد، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ،1980، ص،171.

6 - Ibid , P,43.

7 - المصدر نفسه، ص،172.

8 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

9- Russell : The Philosophy of Logical Atomism, p,228.

10 -Ibid , p,229.

11- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،174.

12- Russell : On Denoting, p,42.

13 - Russell : The philosophy of Logical Atomism, p.232,

14 - رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،169.

15 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

16 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

17 - المصدر نفسه، ص،171.

18 - Russell : On Denoting, p,41.

19- سهام عيسوي النويهي : فلسفة التحليل عند رودلف كارناب، ،رسالة دكتوراه في الفلسفة،إشراف،نازلي إسماعيل حسين،جامعة عين شمس،كلية الآداب ، قسم الفلسفة،القاهرة،1984، ص203.

20 - Russell : Problemes de Philosophie, trad de ,Guillemen, 17ed, 1972; Payot, France, p,61.

21 - Ibid , same page

22- Russell : On Denoting, p,41.

23- Russell : On Denoting, p,41.

24- Ibid , same page.

25- Ibid , same page.

26- Ibid , p,54.

27- Russell : On Denoting, p,55.

28- Russell : The Philosophy of Logical Atomism, p,233.

29- Russell : On Denoting, p,54.

30- رسل : أصول الرياضيات،ترجمة محمد مرسي أحمد وأحمد فؤاد الأهواني، الكتاب 1،دار المعارف بمصر،ط1،1964، ص،94.

31- Russell : Signification et Verité, p,318

32-Findlay : Wittgenstein a Critique, Routledge and Kegan Paul, London,1984, p,52.

33- Russell and Weathead : Principia Mathematica, Vol 1, Cambridge University Press, London,1950, p,66.

34- Ibid , same page.

35- Russell : The Philosophy of Logical Atomism, p,234.

36- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،171.

37- Russell : On Denoting, p,41.

38- Russell : My Mental Developpment, in The Philosophy of Bertrand Russell , ed by Arthur Shilpp,The Library of Living Philosophers, New York, 1944, p,27

39- Russell : The Philosophy of Logical Atomism, p.255,

40- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،182.

41- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

42- المصدرنفسه، الصفحة نفسها.

43- المصدر نفسه، ص ،186.

44- Russell : The Philosophy of Logical Atomism, P,234.

45- Ibid , same page.

46- Ibid , P,229.

47- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،178.

48- Russell : The Philosophy of Logical Atomism, p,230).

49- العكس بالعرض ويسمى أيضا العكس الجزئي Partial Conversion: هو أحد أنواع الإستدلال المباشر يتم فيه إستدلال قضية جزئية موجبة من قضية كلية مرجبة، مثل إستدلال "بعض ب هي أ " من "كل أب"، ويسمى بالعرض لأن "أ" ليست محتواة في ماهية "ب" أنظر: André Lalande: Vocabulaire Technique et Critique de la Philosophie, P.U.F , 17ed,1999, p,189.

50- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص178

51- المصدر نفسه، ص،180.

52- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،173.

53- أنظر : رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية،فلسفتي كيف تطورت، On Denoting، Principia Mathematica Vol1 ،Problemes de Philosophie ،Mysticism and Logic ،The Signification etVerité Philosophy of Logical Atomism

54- See : Frege : On Sense and Meaning, Quine : Word and Object, Carnap : Meaning and Necessity Strawson : On Refering.

55- رسل : فلسفتي كيف تطورت،ترجمة عبد الرشيد صادق، مراجعة، زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1960، ص،194.

56- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،181.

57- المصدر نفسه، ص،187.

58- رسل : فلسفتي كيف تطورت، ص،100.

59- Strawson: On Refering, in Contonprary Readings in Logical Theory , ed by Copi , 1ed ,1967, New York, , p,108.

60- Kaplin : What is Russell's Theory of Descriptions?, in Modern Studies in Philosophy , ed by Pears, 1ed 1972, New York, p,227.

61- محمود فهمي زيدان : المنطق الرمزي نشأته وتطوره،دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص،237.

62- Russell : The Philosophy of Logical Atomism , p,234.

63- Russell : On Denoting, p,41. The Philosophy of Logical Atomism, p,234.

64- Russell : The Philosophy of Logical Atomism, p,243.

65- Russell : On Denoting, p,44.

66- Kaplan : What is Russell's Theory of Descriptions ? p,233.

67- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،190.

68- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

69 - المصدر نفسه، ص ص،190-191.

70- Russell : On Denoting ,

71- Ibid , same page

72- Russell : On Denoting, p,44.

73- Ibid , same page.

74- Ibid , same page.

75- Jacob : L'Empirisme Logique ses Antecedents Ses Critiques,ed de Minuit, Paris ,1980, p,80.

76- Russell and Weathead : Principia Mathematica, p,173 .

77- Vernant : La Philosophie Mathématique de Bertrand Russell, These Logiciste 1903-1913, These de Doctorat, Direction de Francis Jacques , sorbonne Nouvelle, Paris 3,1987,,p,512

78- Russell and Weathead: Principia Mathematica, Vol 1, p,67.

79- Ibid , same Page.

80- Vernant : La Philosophie Mathématique de Bertrand Russell, p,513.

81- Russell : Signification et Verité, p,125.

82- Rudolf Carnap : Meaning and Necessity, The University of Chicago Press, 2ed,1956, p,133.

83- Russell : On Denoting, p,50.

84- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،188.

85- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.86- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،188.

87- رسل : مقدمة للفلسفة الرياضية، ص،188.

88- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

89- Russell and Weathead : Principia Mathématica, Vol 1, p,67.

90- رسل : فلسفتي كيف تطورت، ص،194.

91- محمود فهمي زيدان : المنطق الرمزي نشأته وتطوره، ص243.

92- Russell: On Denoting, p,51.

93- Russell! : The Philosophy of Logical Atomism, pp,44-245.

94- Russell and Weathead : Principia Mathematica, Vol 1, p,169.

95- رسل: فلسفتي كيف تطورت، ص ص،153-154.

96- Russell : The Philosophy of Logical Atomism, p,250.

97- Russell : On Denoting, p,53.

98- Russell : On Denoting, p,52.

99- Russell: The Philosophy of Logical Atomism, pp,250-251.

100- Ibid , p,251.

101- Ibid , same page.

قائمة بمصادر ومراجع الفصل

أولاً : المصادر

أ - بالعربية:

1-برتراند رسل: الفلسفة بنظرة علمية، تلخيص وتقديم،زكي نجيب محمود،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة، 1960.

ب-بالإنجليزية:

2 - Bertrand Russell :Human Knowledge, its scops and limits, American Books , New York, 1948.

3 - On Scientific Method in Philosophy , *in* Mysticism and Logic Doubleday and company London , 1957.

4 - Principles of Mathematics , Appendice , George Allen and Unwins

London,2nd,1937.

5 -The Philosophical Implication of Mathematical Logic *in* Essays in Analysis, Ed by Douglass Lackey, Library of Congress Catalog, U.S.A1 st ed ,1973.

ثانيا : المراجع

أ ـ بالعربية :

1- زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر ،ج 2، 1968.

2- زكي نجيب محمود: برتراند رسل ، دار المعارف ، القاهرة، ط2.

3-صلاح إسماعيل عبدالحق:التحليل عند مدرسة أكسفورد،دار التنوير للطباعةوالنشر،القاهرة،ط1،1993.

4- كريم متّى : المنطق الرياضي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط2،1983.

5-محمد مهران: فلسفة برتراند رسل،دار المعارف ، القاهرة،ط3،1986.

6- محمود فهمي زيدان : في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت ،1985.

ب - بالإنجليزية:

1 - Robert .J. Clack :Bertrand Russell's Philosophy of Language , Martinus Nijhoff, the Hague, 1969.

2 - Elisabeth Eames :Bertrand Russell's Theory of Knowledge, George Allen and Unwins, London, 1969.

3 - Frederick Strawson :Construction and Analysis , *in* The Revolution in Philosophy ed by : Alfred Ayer, Macmillan and Company,London,1957.

4 -Leonard Linsky :Refering ,New York, Humanities.

5 - Ludwig Wittgenstein: Philosophical Investigations , Basil Blackwell, 1967.

جـ - بالفرنسية:

1-Crestian Baylan et Paul Fabrela Semantique , ed ,Fernand Nathan, France,1978.

2-Jerrold Katz :La Philosophie du Langage, trad de Janick Gazio, Payot,France,1966.

3 -Adam Shaff :Introduction à la Semantique , trad de George Lisowski, ed Anthropos, Paris.

4- Julles Veuillemen :La logique et Le Monde Sensible , Flammarian , Paris.